مجلة العلوم الاجتماعية
المجلد 17 / العـدد 02 / سبتمبر 2023 / ص ص 103 - 115
Journal home page: http://journals.lagh-univ.dz/index.php/ssj
ASJP: https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/305

و اقع تشكل و بروز الهوية الافتراضية في ظل استخدام الرموز الاتصالية الجديدة

The reality of the formation and emergence of the virtual identity in light of the use of new communication symbols

نعيمة تسوري بن تسوري [1] ، سامية قطوش [2]
1 مخبر التنمية التنظيمية و إدارة الموارد البشرية - جامعة البليدة 2 (الجزائر) ، tsourinaima@gmail.com
2 جامعة البليدة 2 (الجزائر) ، guttouche.samia@gmail.com

تاريخ الاستلام: 2021/06/03 تاريخ القبول: 2023/06/06 تاريخ النشر: 2023/09/30

ملخص:
تتناول هذه الدراسة إشكالية متعلقة بمفهوم الهوية، حيث ننظر في التحول الذي طرق عليها في ظل بروز المجتمعات الافتراضية، و كيف أعادت صياغة نفسها في هذا القالب الاجتماعي الجديد، الهوية أو الذات الافتراضية التي أصبحت تعرض نفسها من خلال مجموعة من الرموز الاتصالية الجديدة و من خلال الرموز القديمة أيضا و المصاغة بطرق جديدة، و التي تتمثل في نوع اللغة المستعملة، و أساليب العرض الأخرى من اختيار الاسم و الكنية و العمر ، و الصور و الشعارات و الأيقونات التعبيرية و التي تعكس مقومات الهوية الافتراضية، كما جاءت هذه الدراسة لتبرز أهم هذه الرموز الاتصالية الجديدة و التي بات استخدامها سمة من سمات المجتمع الافتراضي، و كيف أثر استخدامها ف بروز الهوية الافتراضية ذات الخصوصيات و الصفات الخاصة بها، و التي توازي الهوية في المجتمعات الطبيعية.
كلمات مفتاحية: الهوية الافتراضية، تشكل و بروز الهوية، الرموز الاتصالية الجديدة.

ABSTRACT:
This study deals with a problem related to the concept of identity،where we look at the transformation that has undergone them emergence of virtual societies. And how it reformulated itself in this new social situation،the identity of virtual self has come to show itself through a group of good communicative symbols and through old symbols as well or formulated in new ways. which is considered in the type of language used and other display methods،such as name،surname،age،pictures،logos and emoticons that reflect identity. This study also revealed most important new communication symbols. Which has become part of the virtual identity in natural societies.
Keywords: virtual identity،the formation and emergence of identity،new communication.

1- مقدمة:

لقد دخلت التكنولوجيا إلى العالم فقلبت الموازين، و خلقت تغييرات كبيرة على مختلف مناحي حياة الإنسانية، خاصة منها ما تعلق بالمجتمع و بناء العلاقات الاجتماعية نتيجة ظهور وسائل و فضاءات اتصالية حديثة اختصرت و ألغت الحدود الزمانية و المكانية نتيجة تطور تكنولوجيا الاتصال و المعلومات الرقمية و في مقدمتها شبكة الانترنت. فالاتصال عبر هذه الشبكة الرقمية دفعت بالملايين من الناس عبر العالم و خاصة الشباب منهم للولوج في هذا العالم الافتراضي لما توفره هذه الشبكة من فرص لا متناهية في الاتصال بمن يريدون و في أي وقت كان لكي يعبروا عن أراءهم و أحاسيسهم و انفعالاتهم و ميولهم وإبداعاتهم الفكرية

- المؤلف المرسل: نعيمة تسوري بن تسوري

doi: 10.34118/ssj.v17i2.3497
http://journals.lagh-univ.dz/index.php/ssj/article/view/3497
ISSN: 1112 - 6752 | رقم الإيداع القانوني: 66 - 2006 | EISSN: 2602 - 6090

من دون أية قيود اجتماعية، و هو ما ولد مفاهيم جديد غير مسبوقة في عالم السيسيولوجيا و العلاقات الاجتماعية كمصطلح المجتمع الافتراضي و العلاقات الالكترونية، و الهوية الافتراضية و غيرها من المفاهيم الأخرى.

و في هذا السياق أصبح من الضروري جدا الاهتمام بالقيام بدراسات علمية تهتم بهذا النوع من المجتمعات الجديدة ألا و هو المجتمع الافتراضي و بكل التفاصيل و المقاييس التي تخص هذا المجتمع خاصة ما يتعلق بالهوية الافتراضية، هذه الهوية التي أعادت صياغة نفسها في قالب اجتماعي هوياتي جديد. هوية لها طابعها الثقافي و الاجتماعي الخاص بها تتجلى من خلال منظومتها الرمزية و رأسمالها الثقافي الرمزي، فالمجتمع الافتراضي و من خلال المنصات و الشبكات التواصلية الافتراضية المختلفة كمواقع التواصل الاجتماعي، و مواقع البريد الالكترونية، و المنتديات الحوارية و غيرها، يتفنن المتواصلون عبرها بإنشاء و إعادة صياغة العديد من الرموز الاتصالية اللفظية و غير اللفظية ذات الهويات و السمات المتعددة، و ذلك من خلال تبادل الصور و مقاطع الفيديو، و النصوص المرئية و الصوتية، و مشاركة الملفات و التعليقات ذات الأبعاد الرمزية الدلالية، و التي تدخل في بناء الشخصية أو الهوية الافتراضية للمستخدم.

و بناءا على ما سبق تتناول هذه الدراسة إشكالية ظهور الهوية الافتراضية التي صاحبت بروز المجتمعات الافتراضية عبر شبكة الانترنت و مختلف تطبيقاتها و برامجها الالكترونية التواصلية و ما خلقته هذه المجتمعات من رموز اتصالية جديدة ساهمت في تشكل و بروز ملامح هذه الهوية. و ما يهمنا في موضوعنا هذا هو كيف يؤثر استخدام الرموز الاتصالية المستحدثة على بناء الهوية الافتراضية للمستخدمين ؟و منه خلصنا إلى طرح التساؤل التالي:

كيف يسهم توظيف الافراد الافتراضيون للرموز الاتصالية الجديدة في إعادة بناء مفهوم الهوية الاجتماعية؟

1-1- أهداف الدراسة:

و منه تهدف دراسة هذا الموضوع أساسا في التعرف على أشكال عرض الذات من خلال الرموز الاتصالية المنتشرة عبر منصات مواقع التواصل الاجتماعي، و الفضاءات الالكترونية، و التعرف على أهم هذه الرموز المستحدثة التي يتميز أفراد المجتمعات الافتراضية في استخدامها، و تأثيرها على الهوية (ابوزيد، 2019)في ظل التحولات التي أفرزتها استخدامات الانترنت، و ما أصبح لها من تأثير على المجتمعات التقليدية و الافتراضية ، و خاصة ما يتعلق بمسألة الهوية.

2- تحديد المفاهيم:

2-1- تعريف الهوية:

الهوية في عرف حضارتنا الإسلامية و العربية-:مأخوذة من ((هو)) أي أنها جوهر الشيء و حقيقته، المشتملة عليه اشتمال النواة على الشجرة و ثمارها، فهوية الإنسان أو ثقافته أو حضارته، هي جوهرها و حقيقتها، و لما كان في كل شيء من الأشياء- إنسانا أو ثقافة أو حضارة –الثوابت و المتغيرات، فان هوية الشيء ((ثوابته))، التي تتجدد و لا تتغير، تتجلى و تفصح عن ذاتها، دون أن تخلي مكانها لنقيضها، طالما بقيت الذات على قيد الحياة، إنها كالبصمة بالنسبة للإنسان، يتميز بها عن غيره، و تتجدد فاعليتها، و يتجلى وجهها كلما أزيلت من فوقها طوارئ الطمس و الحجب، دون ان تخلي مكانتها لغيرها من البصمات. (عمارة، 1999)

و الفيلسوف السوسيولوجي الفرنسي موران (Edgar Morin) بخصوص الهوية قد ركز على محاولة الإجابة عن سؤال ما هو الإنسان؟ و هويته؟ و أقر بأن الهوية الإنسانية هي هوية قائمة على الكثرة، كثرة صلب الوجود الإنساني ذاته، كثرة تتجلى في كون الإنسان هو كائن صانع و كائن اقتصادي و كائن المعرفة و كائن الانفعالات و الرغبة، و هو الكائن الخير كما هو الكائن القادر على الإتيان بمختلف أصناف الشر لذلك لا يمكن مقاربة من جهة الوحدة و لا تعيين هويته كهوية بسيطة، فالهوية الإنسانية هي هوية مركبة، و سواء تعلق الأمر بالأفراد أو الثقافات فنحن أمام و واقع إنساني يرتبط بالكثرة كما تتجلى في مفهوم "الهوية المركبة"

و قد وضح موران (Edrag Morin) بأن هوية كل شخص تبنى انطلاقا من مجموع المكونات التي تتركب منها حقيقته فهو يعني بذلك المكونات: مثل الأسرة، الثقافة، المدرسة، المحيط الخاص بالفرد في سياق القيم المشتركة بجماعته، كما أكد أيضا بأن الهوية بمثابة "عقدة وثيقة" بين تشابه الإنسان مع الغير و الاختلاف معه. (بريجة، 2016، صفحة 32)

إذا فالهوية الإنسانية هي مزيج مركب ومعقد من المكونات والسمات التي تميز شخصا عن غيره او مجموعة إنسانية عن غيرها من المجموعات الأخرى حيث تعبر عن ذاته و علاقاته و تفاعلاته مع الجماعات فلا توجد هوية الفردية حتى توجد الهوية الجماعية، فهي تتشكل و تبرز من خلال تفاعل العناصر النفسة و الثقافية و الدينية وغيرها لتحقيق التواصل

2-2- تعريف الرمز:

يعرفه هربت ريد: "الرمز إشارة معناها شيء متفق عليه، و هو معنى لا ينبغي أن نعرفه إلا إذا عرفنا انه قد اتفق عليه"،و يعرف بأنه :" الموضوع أو التعبير أو النشاط الاستجابي الذي يحل محل غيره و يصبح بديلا ممثلا له. (محسن، 2012، الصفحات 509-510)

و على تعبير جيرتز Geertz هي "نمط المعاني المتضمنة رموز، و المنقولة تاريخيا، و هي نسق من التصورات المتوارثة المعبر عنها في أشكال رمزية عن طريقها يتصل الناس بعضهم ببعض و يواصلون و ينمون معرفتهم و اتجاهاتهم نحو الحياة، و إذا كانت الثقافة تتألف من أنماط ثقافية مثل الدين و الايدولوجيا و الحس العام و الفن و نحو ذلك فان هذه الأنماط هي الأخرى أنساق من الرموز تتحد و تتكامل كل منها مع الأخرى (الأسود، 1991، الصفحات 326-327)، و يستمد الرمز قيمته أو معناه من الناس الذين يستخدمونه، أي أن المجتمع هو الذي يضفي على الرمز معناه، إذ يلعب الرمز دورا في استمرارية المجتمع، في نفس الوقت فان هذا الأخير يعطي للرمز دلالته، و بالتالي فهناك علاقة تكاملية بينهما، فلولا اصطلاح أفراد مجتمع ما على كون الميزان مثلا دلالة على العدل، لما تمكن هذا الشكل من أن يدل بذاته عليه، إن الإنسان وحده هو الذي ينفرد عن الحيوانات جميعا بالسلوك الرمزي، و القدرة على استعمال الرموز و التعامل عن طريقها، و الرمز هو الذي يحول الإنسان من مجرد حيوان فحسب إلى حيوان ادمي و هو أحد المحركات الرئيسية بين ما هو إنساني و بين ما هو غير إنساني...و ليست الثقافة حسب سيرنج- في محصلتها سوى نسق معقد من الرموز المختلفة ، كما أنه أساس كل تنظيمات الإنسان و تواصله و مؤسساته. (بوفتة، 2017، الصفحات 32-33)

و الرمز هو من يعطي الإنسان خصوصية وجودية من خلال القدرة التي يمتلكها على عقل الأشياء و إنشاء الرموز و شبكة المعاني، فالعيش بالرموز و توظيفها فعالية إنسانية بكل امتياز، بها يعيش الإنسان و يؤسس وجوده و يبني عالمه المادي و المعنوي و يرسي نظام الأشياء و العلاقات بينه و بين الآخرين من الناس، و دلالة الأشياء و العلاقات لا تدرك إلا من خلال استعمالاتها و ما تتضمنه من معنى في حياتهم و مما تتخذه من دلالة في تحليلهم الجمعي، و كما قال "بيار أنصار" فإن المجتمعات سواء الحديثة منها أو التقليدية أو تلك المسماة بلا كتابية، تنتج دوما متخيلات "des imaginaires " لتعيش بها و تبني من خلالها رموزها و صورها عن نفسها و عن الأشياء و بواسطتها تتحدد أنظمة عيشها الجماعي وفق معاييرها الخاصة. (المحواشي، 2010، صفحة 32)

تؤكد هذه التعريفات ان الرموز تلعب دورا جد مهم في استمرارية المجتمعات وفي تطور العلاقات الانسانية، التي عرفت تطورات في مختلف مراحل الحياة البشرية. فهي تلعب دورا في ابراز و تشكيل الثقافة الهوية الاجتماعية للأشخاص و المجتمعات فبدون الرموز تصبح حياة الانسان اكثر تعقيدا او شبه مستحيلة على اعتبار ان التواصل و التفاعل وتبادل الدلالات و المعاني و الأفكار عن طريق الرموز الاتصالية المختلفة يمثل حقيقة الحياة الإنسانية و الاجتماعية التي كانت على مر التاريخ البشري.

2-3- مفهوم الهوية الافتراضية:

في مفهومنا الجديد للهوية الرقمية على الانترنت، يغدو مفهوم الهوية أكثر تعقيدا وغموضا، إذ تزداد خصائص الشخصية الالكترونية عددا ونوعا وكيفا... ومن خلال تفاعلها المتواصل و المتركب في أشكال تكنولوجية متنوعة تتمثل الهويات الرقمية بشتى تمثلاتها الممكنة في وسط الكتروني جمع بين وسائط من الحرف و الصوت و الصورة و الحركة و اللون، و تجاوز الزمان و المكان في حركة الفضاء السايبري المدهشة. إن هذا الفضاء أتاح للإنسان إطارا كبيرا واسعا يحوي أطرا فرعية. فهناك الإطار الذاتي للشخصية، و هناك إطار الجماعة أو المجتمع الافتراضي الذي ينتمي إليه، كذلك هناك الإطار الثقافي الطبيعي الذي ينطلق منه الفرد الافتراضي إلى جانب الإطار الأوسع الكوني الجديد، الذي يمكن للفرد الافتراضي أن يتحرر من خلاله، و ينطلق بكل إمكاناته و طاقاته التمثيلية الرقمية. ولكل هذه الأطر المذكورة خواص تحدد هوية ما للفرد الافتراضي أو من قبل اختراق خارج عن إرادة الفرد المعني. (رحومة، 2008، صفحة 136)

و هي تعرف بأنها: مجموعة من المعلومات و البيانات التي تخص الفرد على وجه التحديد، و يمكن تعريفها أيضا بأنها: الرابط التكنولوجي بين الكيان الحقيقي "الشخص" و الافتراضي "واجهة الملف الشخصي profil " أو الصفحة الشخصية. (بوخبزة، 2015، صفحة 247)

كما يرى محمد علي رحومة أن الهوية الرقمية في رزم غير محدودة البيانات. وهي جميعا رموز للخصائص والمواصفات والأفكار والمعلومات والتفاعل الاجتماعي والتعابير و المشاعر والاتجاهات بأنواعها. ويأخذ التفاعل بين الهويات الرقمية شكله بصورة طبيعية حسب ما توفره ظروف البيئة التكنولوجية المتاحة، بيئة الاتصال كالبريد الالكتروني، غرف الدردشة، المؤتمرات، أو قوائم الأخبار، أو لوحات النشرات، أو عن طريق المواقع و الصفحات و استجابات نقاط الوصل و النصوص التشعبية و الروابط المتشعبة فيها. (رحومة، 2008، صفحة 137)

كما تعرف بأنها مجموع الصفات و الدلالات والرموز التي يوظفها الإنسان للتعريف بنفسه في الفضاء الافتراضي، فيتفاعل و يتواصل على أساسها مع الآخرين، بحيث قد لا يتوافق مضمونها مع هويته الحقيقية في الواقع الاجتماعي. (بيبيمون، 2016، صفحة 77)

فالتواصل اذا يعتبر دائما عملية رمزية، أي بمعنى اننا دائما نتواصل عن طريق الرموز، سواء كانت رموز لغوية (كلام او كتابة)، او ايماءة، صورة، كائن، اسم، أنماط سلوكية، و ما الى ذلك يمكن ان يصبح كل شيء رمزا عندما يرتبط بمحتوى ذي معنى، و وفقا لمفهوم "ارنست كاسرير"، الشكل الرمزي هو كل طاقة يرتبط بها معنى المحتوى بإشارة حسية ملموسة لهذه العلامة. (Rouse, 2017)

وعالمية هذا المجال الافتراضي، ولدت مفاهيم جديدة يتداخل فيها التقني مع الإنساني (الحب الرقمي، امبريالية الانترنت، إدمان الانترنت،لخ) مما يجعلنا نعيد تعريف الذات و علاقتها مع الآخر، و اكتشاف الهوية في عالم تمتزج فيه الهويات، كما تدفع إلى علاقات المجتمع المدني فهما و تطبيقا، في ظل تغير مكونات العملية الاتصالية: الإرسال يتم عبر الشبكات، و الرسائل تصاغ وفق مفهوم النص الفائق، و ظهور الوسائط الجديدة للاتصال (نبيح، 2017).فانه عالم لا ينضب من البيتات (المعلومة و الحركة)، عالم متجدد ذاتيا بما يناسب المستخدمين باختلاف نشاطاتهم و اهتماماتهم، و لا يمكن في هذا الصدد التنبؤ بما يمكن أن ينجزه الأفراد الأعضاء في المجتمعات الافتراضية، و المتعاملون مع الفضاء السايبري، من تداول المعلومات و تواصل الحركة و التفاعل و الانفتاح الكلي على مختلف الأنشطة و الأفكار و الوجهات، كل بحسب إمكاناته التقنية و معارفه التكنولوجية، و مهاراته و قدراته

الذاتية في التمثيل و إبراز الهوية، و الاستعداد الذاتي لتمثيل ما يمكن تمثيله في عالمه الجديد على صعيده الشخصي أو المجتمعي. (رحومة، 2008، صفحة 137)

و في دراسة اجتماعية معاصرة أجرتها الباحثة الفرنسية فاني جورج (Faany Georges) حول الموضوع لبحث خصائص الهوية الافتراضية على شبكات التواصل الاجتماعي (فايسبوك، مايسبايس) توصلت نتائج الدراسة إلى نتيجة و هي أن عملية عرض الذات ليست إلا جزءا من العملية الرقمية التي تعرض في المجتمع الافتراضي، حيث تستنتج هذه الأخيرة من خلال عملية الجمع بين الرموز التي يتوفر منها الجهاز و التي تكون انعكاسا مباشرا للمؤثرات الثقافية التي هي عرضة لها، و يتجلى من خلال استخدام مجموعة من العناصر الرمزية القابلة للملاحظة على الشاشة و الحاملة لمعاني معينة سواء كانت كلمات، أو صور، أو مقاطع فيديو ذات أبعاد دلالية تساهم في التعبير عنها، حيث تنقسم الهوية الافتراضية إلى ثلاثة عناصر رمزية تعكس تمظهراتها في المجتمع الشبكي، تبرز ملامحها و التغيرات الحاصلة لها و هي:

- الهوية التصريحية: (identité déclarative) تبرز من خلال المعلومات يجري إدخالها من طرف صاحب الحساب مثل الاسم، تاريخ الميلاد، الصورة...لخ
- الهوية النشطة: (identité agissante) تبرز من خلال التقارير الدولية للصفحة عن نشاطات المستخدم مثلا: x و yأصبحا صديقين، الانضمام إلى مجموعة جديدة....
- الهوية المحسوبة: (identité calculée) تبرز من خلال متغيرات عددية يعدها النظام (le systeme) و تعرض على الصفحة، توضح عدد الأصدقاء، عدد المجموعات، تواريخ مهمة...حيث تسمح هذه الثلاثة أبعاد بالتحليل الكمي لمغيرات ملامح الهوية و سياق توجهها في الفضاء الرقمي. (بيبيمون، 2016، الصفحات 72-73)

كما شرحت الدكتوراه رجاء فنيش، انتشار العلامات و الرموز داخل الفضاء العمومي الافتراضي الذي خلقته المجموعات الافتراضية التونسية، و اعتبرت نشاطهم قوة سيميائية، حيث يشتركون في إعادة إنتاج الرموز، و في إعادة نسخ ذلك الرابط الاجتماعي المبتور في ترجمة النقد عن طريق الصخرية و الكاريكاتور، و في إعادة منح معنى لبعض العلامات المبتذلة مثل العلم التونسي، النشيد الوطني التونسي، فروح الحركة الاجتماعية تغذت بقوة الرمز من خلال شبكات التواصل الاجتماعي في إبداع و خيال لا يضاهيه أي شيء حتى الآن، ولقد استعانت الباحثة في دراستها بمفهوم John Fiske عن القوة المضادة التي لا يعتبرها مجرد قوة مضادة و إنما مصدر للقوة في حد ذاتها، و هي قوة سيميائية ردة الفعل من طرف الشعب التونسي على ما وصفته بالعنف الرمزي من طرف السلطة التونسية، فالشعب قام بإحداث ثورة سيميائية مضادة اتخذت من السخرية و الكاريكاتور السلاح الرمزي في الفضاءات الافتراضية خاصة فيسبوك و تويتر، و هي قوة بناء المعاني و المتعة و الهويات الاجتماعية، قوة تحاول إنتاج معاني منظمة، و اختلافها عن تلك التي اقترحتها هياكل الهيمنة، و يعتبر مكان أو منطقة ممارسة هذه القوة هو منطقة التمثيل.

و من هذا نستنتج أن الهوية الافتراضية التي تتجسد في الفضاء الافتراضي هي إشباع لحاجيات و رغبات و ميولات نفسية و اجتماعية و ثقافية، يتمثل من خلالها المستخدمين في مواقع متعددة من شبكات التواصل الاجتماعي ذات المزايا المتعددة، يتواصل من خلالها أفراد و مجموعات حسب ميولاته و انتماءاته، و تعد أحيانا بمثابة النفور و القفز على الهوية الاجتماعية الحقيقية و أحيانا امتدادا لها.

إن مصطلح الهوية الافتراضية يحيل في هذا السياق إلى الهوية التي تنتج و تتشكل في مواقع الشبكات الاجتماعية ، من طرف المستخدمين و التي يفترض أن تكون بمثابة إعادة لعرض الهوية الحقيقية في الملفات الشخصية، أو إنتاجها لهوية غير حقيقية تختلف عن تلك التي يكتسبها المستخدم في الواقع و يطلق عليها الهوية الظاهرية أو "الافتراضية"، ومن هذا المنظور تعطي البيئات

الافتراضية فرصا كبيرة للمستخدمين لعرض ذواتهم و تجسيد تمثلاتهم بالطريقة التي يرغبونها و يحددونها، و بالتالي تفتح المجال لتشكل تجارب هويات جديدة، و ذلك سينتج ما يسمى بالبناء الاجتماعي للهوية في الفضاء الالكتروني عن طريق التفاعلات الالكترونية للمستخدمين. (بوخبزة، 2015، صفحة 248)

اذا يعتبر مفهوم الهوية الافتراضية من المفاهيم الحديثة التي ظهرت في ظل التطور التكنولوجي الهائل لوسائل التواصل المختلفة التي أسهمت في خلق مجتمع افتراضي يتميز بسمات و خصائص و أنماط اتصالية جديدة تظهر من خلالها الهوية وفق اعتبارات ثقافية و اجتماعية عالمية مرتبطة بالتمثل للذات عبر شبكات التواصل الاجتماعية المختلفة المنتشرة في فضاء افتراضي الغى الحدود الجغرافية و الزمانية و القافية و اعطي للإنسان حرية تقديم ذاته و مواصفاته للآخرين المتواصلين معه عبر هذا الفضاء

3- خصائص الهوية الافتراضية:

لا يتأتى للفرد التواجد في العالم الافتراضي إلا من خلال التحامه بالعناصر التكنولوجية التي عليه أن يؤلفها ويتحكم في مجرياتها أحسن تحكم حتى يضمن فاعلية تواصله مع الآخر في الفضاء الافتراضي.

يعتبر الفاعل في المجتمع الرقمي ذاتا افتراضية مرقمنة (مبرمجة آليا) فهو مركب رقمي غامض لا جسد له، يتخذ شكل رمز أيقوني أو شيفرة متميزة قد تتخذ شكل أو صورة أو رمزا للإشارة إلى هويته الرقمية التي تصبح رمزا للتفاعل والتواصل في الفضاء الافتراضي.

يفترض التواجد في الفضاء الافتراضي في شكل عدد لا محدود من الوحدات و العناصر المؤسسة له، فرد، فرد- مجموعة، و مجموعات افتراضية فيما بينها، تنظيمات رقمية قائمة بذاتها في شكل شبكات ذات أبعاد عالمية.

يتمثل كيان الفرد في الفضاء الافتراضي من خلال الآثار الرقمية التي تخلفها عمليات التواصل و التي تبرز في تلك الرموز التجريدية التي تتنوع أشكالها باختلاف الشبكات الافتراضية التي يشترك فيها مثل: نع/لا، الفتح/الغلق، الوصل و الفصل، الإعجاب، المشاركة، التعليق...لخ.

تتخذ لغة التواصل في المجتمع الافتراضي طابعا مميزا يجمع بين الكلمة و الرمز، الأيقونة، الوجوه، الصورة و غيرها، التي قد يجري التلاعب برمزيتها و بناء معانيها سعيا إلى خلق خصوصية الأثر في ضوء ديناميكية الجماعات الافتراضية و تاليا بلورة الوجود الرقمي في المجتمع الشبكي. من هنا تجدر بنا الإشارة إلى التحديات التي تواجهها اللغة في ظل المجتمع الشبكي، و بخاصة أن منطق التواصل الافتراضي عن طريق اللغة المكتوبة المعبرة عن الردود الفورية السريعة الممزوجة بالمشاعر و الانفعالات تتطلب استخدام مختصرات بحروف لاتينية أو عربية أو المزج بينهما أو أيقونات معبرة عن ذلك، الأمر الذي يؤثر في تركيبة اللغة الوطنية و يشوهها، و لا شك في مثل هذه الممارسات اللغوية المعتمدة في المجتمع الافتراضي تعكس التحديات التي تواجهها الهوية في المجتمعات العالمية، و تأثير تكنولوجيا المعلومات في نمط حياتنا المعاصرة. (بيبيمون، 2016، الصفحات 80-81)

تبرز في هذا المجتمع أنماط من الهوية أبرزها نمطان احدهما يتمسك بالهوية الحقيقية و يصرح بالبيانات الحقيقية كالاسم و السن و الجنس و الوظيفة و موقع العمل و الصورة الشخصية الحقيقية، و تكون دوافعه للانضمام إلى المجتمعات الافتراضية إثبات الذات و نشر الأفكار و تبادل الحوار و الآراء بدرجة من الراحة و القبول و الانسجام مع قيم الفرد و أفكاره و زيادة و زيادة المعلومات و العلاقات و إثرائها. أما النمط الثاني، فيكون فيه الفرد خفيا، أي مجهول الهوية، يدخل إلى المجتمع الافتراضي بأسماء مستعارة ذات دلالات رمزية أو صور أو شعارات تشير إلى توجهاتهم الفكرية، يكونون أكثر تفاعلا و نشاطا و مشاركة و أحسن تصرفا من المجتمع الحقيقي، و ذلك بالارتكاز على التواصل الفكري بتلقائية و صراحة بغياب التعقيدات الاتصال المباشر بصرف

النظر عن انطباعات الشكل و المظهر الحقيقي و العادات و المراسيم و الترتيبات الاجتماعية و النفسية و المشاعر الوجدانية كالخجل و الخوف و الارتباك و غيره. (عبدالله، 2018، صفحة 545)

يؤمن التفاعل الافتراضي للمواطن الرقمي الكثير من الثقة و الراحة و ذلك لاعتبارات عديدة لعل أبرزها، أن التواصل الافتراضي هو تواصل غير مباشر يسمح للفرد بتجسيد أفكاره بالطريقة التي يرغب بها، و هذا ما لا يؤمنه التواصل الحقيقي في معظم الأحيان.

يشعر المواطن الافتراضي بالانتماء إلى موطنه العالمي الذي يحرره من الكثير من القيود الاجتماعية و الثقافية و العرقية..لذا نجد الكثيرين الذين يقضون أوقات طويلة أمام شاشة الكمبيوتر تفوق الأوقات التي يقضونها في وسطهم الحقيقي، إذ لا يعقل أن يمضي هؤلاء أكثر من ست أو سبع ساعات و قد تصل عند البعض إلى أكثر من عشر ساعات، إذا لم يكن هذا العالم يستهويهم.

تتفاعل الهوية الرقمية حسب البيئة الالكترونية المتاحة مثل غرف الدردشة أو لوحات النشرات أو المواقع و المنتديات..و يظهر هنا مضمون هذه الرسالة من خلال التفاعل النصي أو الصوتي أو المشاعري عبر الرسومات للتعبير عن الأفكار و المواقف الفردية و الجماعية. (منصوري، 2014، الصفحات 94-95)

نحن نعيش في عصر تمتلك فيه التكنولوجيا القدرة على طمس الحدود بين الواقع و الخيال او بين الواقعي و الافتراضي فمن خلال الصور الرمزية و الرموز الاتصالية و الملفات الشخصية الخاصة للمقيمين في العالم الافتراضي يمكنهم انشاء هوياتهم الافتراضية حسب رغباتهم و ميولاتهم باستخدام مجموعة متنوعة من المواد الرمزية المتاحة، فلم تعد الهوية محصورة بالحقائق المادية و القيود الوجودية.(Kols, 2014)

ينفرد العالم الافتراضي بخاصيات كثيرة تحقق لأفراده و تجمعاته التواصل و التفاعل بشكل اكبر مما هي عليه في الحياة الواقعية في بعض الأحيان، نظرا لغياب التعقيدات الاجتماعية و النفسية التي يفرضها الواقع الاجتماعي، و لا يتحقق هذا التواصل و التفاعل إلا من خلال مجموعة من العناصر التي تفرضها استخدامات التكنولوجيا الحديثة، فالفراد في هذا العالم يشعرون بحرية كبيرة تمنحهم إمكانية عرض ذواتهم الاجتماعية و النفسية بالطريقة التي يريدونها دون قيود اجتماعية ، و قد يعود الامر في ذلك الى إمكانية التخفي تحت أسماء مستعارة او الظهور بشخصية مخالفة للواقع

3-1- المواطن الافتراضي:

تعد حدود الهوية في العالم الافتراضي غامضة المعالم، إذا لا تحدها حدود جغرافية أو تضبطها منظومة قيمية، فهي فضاء مفتوح لا محدود لمواطنين كونيين من مختلف الأعراق و الأجناس و الخلفيات الثقافية، و عليه فهوية كل مواطن تتدرج من هويته الوطنية لتمتد إلى أبعاد عالمية. فإذا كان مارشال ماكلوهان قد أشار إلى التحديات التي جاءت بها بفعل تأثير تكنولوجيا الإعلام و الاتصال بمختلف وسائلها، وربط تأثير الرسالة في الوسيلة المستخدمة، فقد نوه عبد الرحمن غزي من خلال نظرية الحتمية القيمية إلى البعد القيمي و الحضاري للمضمون الذي تحمله الرسالة الإعلامية، و الذي لا طال ما تجاهلته الدراسات الاجتماعية الغربية، فالمضمون المتداول رقميا هو مضمون حامل لقيم، و بخاصة أن التأثير في ضوء المجتمع الشبكي يتخذ طابعا انفعاليا و بخاصة إذا كان في بيئة رقمية تساعد على تحقيق التأثير المرجو. (بيبيمون، 2016، صفحة 83)

كما يرى نديم منصوري أن هوية المواطن الافتراضية تتحدد من خلال ثلاث خلفيات و هي:

- الإطار الذاتي للشخصية أي (هويته المحلية الوطنية).
- الإطار الافتراضي للشخصية أي (هويته الافتراضية العالمية).
- الإطار الثقافي الطبيعي الذي ينطلق منه المواطن الافتراضي نحو الإطار الكوني الأوسع.

و لكل هذه الأطر خواص تحدد هوية ما للمواطن الافتراضي، خاصة أن الشخصية الافتراضية بإمكانها أن تتمثل بشخصيات مزيفة، و أن تبدل شخصيتها متى تشاء، ومما يزيد تحديد الهوية الرقمية و فهم خواصها أكثر تعقيدا. (منصوري، 2014، صفحة 94)

و عليه يمكن القول أن الأرضية التي ينطلق منها المواطن الافتراضي تبقى دائما من إطاره و عالمه الحقيقي للتجسد في صور و أشكال مختلفة نحو هويته الافتراضية العالمية، و هو ما يعكس حقيقة تزاوج و تشابك العلاقات الاجتماعية الافتراضية بالواقع الاجتماعي الحقيقي للمواطن الافتراضي، فقد يصعب على الإنسان الانسلاخ كلية من هويته الاجتماعية الحقيقية، و هو ما يظهر في التوجهات الدينية و السياسية و الاقتصادية و الوطنية التي يتبعها .

ومن بين أهم أخلاقيات التواصل التي تحقق للهوية الافتراضية استقرارها و تضمن المواطنة الافتراضية فاعليتها، لأنها حتما ستنعكس على الممارسة الواقعية الهادفة و هي:

- قيمة التعارف و هو ضرورة بشرية لقوله تعالى: "يا أيها الناس إن خلقناكم من ذكر و انثى و جعلناكم شعوبا و قبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله اتقاكم إن الله عليم خبير" (الحجرات:13).
- قيمة احترام حرية الآخر.
- قيمة احترام الحيز الشخصي لأطراف التواصل.
- قيمة المشاركة و العطاء و العمل الجماعي.
- قيمة الفاعلية أثناء عملية التواصل.
- قيمة تحفيز الآخر و تشجيعه.
- وغيرها من القيم الحضارية الهادفة التي تجدد اتصال الإنسان بعناصر هويته التي تحدد حقيقة اتصاله الوثيق بالقيم المشتركة التي تجمعه عبر الأرض، الدين، التاريخ، اللغة، الثقافة، المصالح المشتركة، و لا يتحقق ذلك إلا من خلال إعادة بعثها من المجتمع المدني الافتراضي إلى الممارسة الواقعية عبر ممارسات واقعية هادفة تسجد ذلك من خلال العمل التطوعي، و الأنشطة الخيرية الهادفة. (بيبيمون، 2016، صفحة 83)

على أن خطورة العلاقات الاجتماعية المشكلة في العالم الافتراضي تنبع من أن اندماج الفرد داخل المجتمع الافتراضي يعني أنه قد أصبح لديه مجال يعكس علاقات و قيما خاصة به تشكل مجالا لإنتاج و إعادة إنتاج هويته عوض التفاعل الحقيقي المتمثل في مختلف مجالات المجتمع المعترف بها كالأسرة، الجماعة المهنية، الجيران...لخ (زموري، 2011، صفحة 201)

4- الرموز الاتصالية و تشكل الهوية:

أشعلت مقولة "ديكارت" : "أنا أفكر إذا أنا موجود"، الإلهام لدى مخترعي التكنولوجيا ليبتكروا للبشرية ألوانا شتى من وسائل الاتصال و التواصل، مخلدين بذلك الشطر الثاني من تلك المقولة لتصبح " أنا أتصل إذا أنا موجود". هذه المقولة أصبحت النسخة الجديدة لنوع جديد من الإنسان لم يعد الأساسي عنده هو الاستقلال الشخصي بل تعددية العلاقات و تشابكها و إن كانت افتراضية عبر مواقع التواصل الاجتماعي، التي تعتبر من أهم المفاهيم المستحدثة ضمن مفهوم الإعلام الجديد و المرتبطة بالمجتمع الافتراضي، و ربما من أهم وسائطه و تقنياته. (عبديش، 2016، صفحة 100)

الفضاءات الافتراضية أصبحت بوتقة صهر سيميائي واضح يجول فيه الرمز المضغوط بشكل لافت من تنوع الصورة، اللون، و الإيحاء، إذ ضمن هذه الوافدات الرمزية تظهر الأيقونات و العلامات مصاحبة للرقمنة بل هي الحامل لها من عملية جذب و إغراء، في صيغ من الطباعة و الصك الإرادي لتحميل المعنى، حيث يجد المتأمل في تلك الفضاءات الرقمية زحما من التصميمات

الأيقونية التي تبعث على التأمل، حيث إن اختلاف اللون، الوحدات، الشكل، المحتوى، تزاوج اللغة بالرمز، الأرقام، الرسوم، دقة التركيب، التنوع اللامحدود بعبارة أدق فيضان من الرمزية المتنوعة. هذا التنوع من الرمز يخاطب مختلف الحاجات، فتجمع في الرمز حمولة ثقافية، تخاطب الحواس و الوجدان و تجعل المنخرط في الفضاء الرقمي يتبنى صورة نمطية، هذه الصورة ليست مفرغة من المعنى بل وعاء له حتى أن البعض يرى في ثقافة الصورة خليط من التصنع و التنوع النمطي و عدم التجانس الذي يؤدي إلى فقدان الدلالة و موت الموضوع. (العابد، 2018، صفحة 202)

تلعب الصور الرمزية دورا محوريا في تحقيق الإحساس بالهوية لأولئك الذين يرغبون في الدخول الى العالم الافتراضي الذي يدمج العناصر السردية بشكل يؤدي الى توليد استجابات عاطفية أكثر كثافة، والتي تميل بدورها الى اثارة إحساس اقوى بالوجود الداخلي، حيث يمكن اعتبار هذه الرموز على انها المركبات التي تستخدم للتواصل مع الاخرين(Kols, 2014) .ص 281

لقد أصبح عرض الهوية في المجتمعات الافتراضية يتخذ شكلا جديد بفعل التقنيات التكنولوجية الحديثة التي عرفتها مختلف الفضاءات الاتصالية وفقا للنماذج التي تفرضها مختلف التجمعات الافتراضية، و التي تتخذ من الرموز الدلالية المختلفة طريقة لعرض الذات و الهوية في قالبها الاجتماعي العالمي الجديد، فالصورة و الكلمة و مقطع الفيديو، و الرسائل النصية و النصوص المرئية ليست مجرد و سائل و حاملات للرسائل الاتصالية بل الامر يتعدى ذلك نحو جانب اعمق للظاهرة، فهي عبارة عن رموز تحمل معاني و دلالات اجتماعية و ثقافية و سيكولوجية و أيديولوجية متناهية التعقيد.

4-1- اللغة والصورة كرمز من رموز الهوية الافتراضية:

تأتي تكنولوجيا الاتصال و المعلومات لتجعل من اللغة سندريلا علم الحاسوب، فلم تعد اللغة مجرد أداة للاتصال، أو مجرد نسق رمزي ضمن انساق رمزية أخرى، بل أصبحت أهم العلوم المغذية لتكنولوجيا المعلومات، و رابطة العقد- بين جميع الأنساق الرمزية الأخرى، التي تسري في كيان هذا المجتمع، حيث لها الدور الأكبر في صياغة شكل المجتمع الإنساني، فأهل البنية يقولون: لغتي عالمي و حدود لغتي هي حدود عالمي، فهي الذات و هي الهوية، و هي أداتنا لكي نصنع الواقع الاجتماعي، و لا شك أن ثقافة عصر الاتصالات تتطلب إبداعا لغويا جديدا، في جميع الفنون اللغوية، و معالجتها كي تنصهر في بوتقة الوسائط المتعددة مع انساق رموز الاتصال الأخرى غير الخطية، إلى جانب ذلك إبداعا جديدا في الحوار. (خوالدة، 2012، صفحة 334)

وزيادة على ذلك أحدثت الانترنت بتطبيقاتها المختلفة (مدونات، تدوين مصغر، برامج حوار نصي مباشر، شبكات اجتماعية) طفرة في عالم اللغة بعد أن ساعدت على ظهور لغات جديدة أو لهجات الكترونية على الأقل تكتب بها اللغات الأم بطريقة مختصرة أو بحروف غير حروفها الأصلية، و هو ما شكل تهديدا يضاف إلى سلسلة التحديات التي تواجهها اللغة، لا سيما الأقليات اللغوية أو اللغات التي لا تحظى باستعمال عالمي. (الشريطي، 2015، صفحة 63)فالضعف في التواصل باللغة العربية في مواقع التواصل الاجتماعي يعد من بين أهم القضايا المؤثرة، إلى درجة ظهور الكتابة بلغة هجينة بين طلاب المدارس، حيث أوجد التواصل من خلال مواقع التواصل الاجتماعي رموزا تواصلية أو لغة جديدة تسمي "العربيزي" أو "الفرانكواراب" و هي كلمات ذات معنى عربي تكتب بحروف انجليزية أو فرنسية أضيف إليها بعض الرموز بحيث تقابل بعض الأحرف غير الموجودة في اللغة اللاتينية. إن استعمال الشباب لهذه اللغة يمثل نلك الفجوة التي بينهم و بين الجيل الأكبر عمرا، لإحساسهم بغياب التواصل بينهم، أو يعبر عن انتماء الجيل الجديد إلى ثقافة عصرية مستلهمة من الغرب.كما أن هذه الظاهرة اللغوية الجديدة تثير تساؤلات عديدة عن مدى تأثير اللغة العربية على هوية المجتمعات العربية بافتراض أن اللغة أحد الأركان الأساسية للهوية لأي شعب. فقيمتها لا تكمن فقط في بنيتها الصوتية بل في سياقها الثقافي و امتدادها التاريخي. (أحمين، 2017، صفحة 109)

كما يحاول أبناء الجيل الرقمي من خلال محادثاتهم التعبير عن أحاسيسهم و مشاعرهم للطرف المقابل، و قد يصعب التعبير عن ذلك لغويا، لذا عمد الشباب إلى استخدام بعض الأيقونات و الوجوه و الرسومات لتعبر عن حالتهم النفسية او عن مشاعرهم. (منصوري، 2014، صفحة 108)فالمحادثة على الإنترنت تشجع على عدم الاكتفاء بالتحاور مع الأشخاص الذين نلتقيهم حقيقة فحسب، فالمشاركة في منتدى حوار مثلا أو إرسال رسالة عبر البريد الالكتروني كما لو كانت مناقشة أو حوارا مواجهيا يجعلنا نتخيل عددا من التقنيات تسمح بتقديم العلامات غير اللفظية كما هو شان الايقوانات و هي ربط الكلمات ببعض الرموز التي تعبر بطريقة تخطيطية عن إيماءات معينة كالابتسامات، الغمزة، حالت الغضب، الحزن...و هي رموز مستخدمة بكثرة في منتديات الحوار و حتى جمعها في قواميس خاصة بها كما هو قاموس Sunderson و وفقا ل Mourlhon-Dalliess و Colin نستطيع استخراج العديد من الوظائف للأيقونات:

- الأيقونات قد تكون معبرة: تساعد على وصف حالة المرسل (الفرح، الغضب...لخ).
- قد تكون مساعدة للمستقبل: تسمح له بتفسير الرسائل بطريقة سهلة بفضل الرموز التعبيرية، فرمز غمزة مثلا يعني المزاح.
- تسمح الأيقونات أيضا للمرسل بتحديد العلاقة التي يريد إقامتها مع المستقبل وإعطاء رنة خاصة للمبادلات.
- الأيقونات تعبر عن الأدب واللباقة والإنقاص من حدة الرسالة.
- وتحليل المجموعات النصية المختلفة من بين الوظائف التي بين هذه الوظائف ليست حصرية (فيمكن أن يتضمن رمز واحد عدو وظائف) ولا يوجد رمز متخصص في وظيفة واحدة.
- هناك أيضا ما يسمى Autoportrait فعادة ما تكون الرسائل ممضاة و مصحوبة ببعض الأشكال التعريفية بأصحابها و تكون غير لفظية و لدى هذه الرموز دور في التسجيل الشخصي للأفراد و تقوم بتحديد هوية الكاتب و لو جزئيا، و إعطاء تصور مبدئي عنه. (شميسي، 2016، الصفحات 138-139)

يعود ظهور أول ابتكار للرموز التعبيرية إلى "كيفين ماكنزي" " Kevin Machenzie" ففي عام 1979 ابتكر تعبيرا شعوريا كرمز لتمثيل ابتسامة باستخدام العلامتين ☺ :) لأجل تلطيف النص الجاف للبريد الالكتروني، و مع منتصف الثمانينات، جرى تطوير تظم تكنولوجية تستخدم بيانات استخدام رسومية (Graphical user intrface) ، حيث بدأت تظهر هذه التقنيات للاستخدام، كذلك نظام دردشة لايكوس (Lycos) الذي يسمح بعرض تعابير و مشاعر المستخدمين بالطريقة التي يريدونها على صفحة الدردشة. تتمثل هذه التعابير بالرسومات و الإيماءات الكاريكاتورية و الدلالات ليعبر من خلالها المشترك عن مشاعر الفرح، الحزن، الغضب، الدهشة، الانزعاج، الحيرة....، (منصوري، 2014، صفحة 109)و كذلك توفير رموز و جمل مختصرة معبرة عن شيء يريده المستخدم، مثلا إرسال تحية خاصة لمرسل آخر ، أو مصافحته، أو إهدائه باقة ورد، أو ربما التحرش بكلمات لاذعة، أو صفعة على الوجه، أو ضربه ضربا خفيفا على الرقبة، أو مداعبته، أو السخرية منه، أو إهانته بلباقة، أو إطرائه و تقديره و الإعجاب به...لخ.كذلك إمكان اختصار العديد الكثير من الجمل المتكررة في الدردشة، و أحيانا تمثيلها برسوم و أشكال جاذبة متنوعة. (رحومة، 2008، الصفحات 142-143)

تعتبر هذه الظاهرة الأكثر تحديدا و تأصيلا للتخاطب الالكتروني، حيث يمكن أن يفهمها الجميع من ثقافات مختلفة، و هذا الرمز يدعم عاطفة، إحساسا أو يضيف معنى ساخرا للنص كما تساعد في ثقافة الاتصال المباشر من خلال الرموز التي تدل على ما خلفها من مضمون، مما خلق ثقافة من الرموز المتعارف علي معانيها، و التي يسهل تمييزها بعضها عن بعض، لذا يجب الحرص على أن تكون الأيقونات مفهومة بمختلف اللغات، و تعمل هذه الأيقونات على تمكين مستخدمي الاتصال المباشر من

الحصول على تعبيرات الوجه و التي يحاول الفرد نقلها للآخرين من المحادثة العادية و هكذا فان الأيقونات يمكن أن تعبر عن وجهة نظر معينة، تعبر عن السعادة أو الأسف أو الصدمة. (الشريطي، 2015، صفحة 56)

كما تنوعت المداخل التي تناولت أساليب توظيف النصوص المرئية في مواقع الشبكات الاجتماعية، ففي إطار استخدام و توظيف الصور على مستوى الاستخدام الشخصي، أشارت دراسة شيم (Shim) و لي (Lee) و بارك (Park) (2008) إلى ميل طلاب الجامعة لنشر صورهم الخاصة في صفحاتهم على موقع سايورلد (Cyworld) للحصول على استجابات أصدقائهم نحوها، و هي تتفق مع دراسة والثر (Waltherl) و هايد (Heide) و كيم (Kim) و وسترمان (Westerman) و تونغ (Tong) (2008) التي كشفت عن وجود علاقة ارتباطيه طردية بين الوعي الذاتي لدى الطلاب و صورهم الخاصة المنشورة في صفحاتهم الشخصية، و دراسة جروس (Gross) و أكويستي (Acquisti) (2005) التي أظهرت وجود علاقة طردية بين الصور الشخصية لمستخدمي موقع الفيسبوك. (أسعد، 2014، صفحة 74)

و على ضوء ما سبق و في دراسة ل أنتونجفيك (Smildana Antonijevic) ترى فيها أن العناصر و الرموز البصرية غير اللفظية باتت تشكل مكونا مهما لا غناء عنه في مجتمعاتنا المعاصرة التي تتسم بتنامي و تزايد الاتجاه نحو إعادة و بناء و تشكيل أو ترميز المعرفة البشرية في شكل رموز بصرية غير لفظية على نحو غير مسبوق، لدرجة باتت معها رموز التواصل غير اللفظي تزاحم الرموز اللغوية في توصيل المعاني، وتنبه أن الرموز غير اللفظية ليست محايدة أو بريئة تقدم الواقع على ما هو عليه أو تشير إلى المعاني بشكل مباشر، و لكنها تعيد تفسير العالم و الكون، فهي بمثابة إعادة تقديم تفسير للمعاني أو إعادة تفسير العالم بطرق مختلفة على ما هي عليه في الواقع. (إلهامي، 2015، صفحة 32)

و عليه فالملاحظ و الملم بما يحدث في المجتمع الافتراضي و الفضاءات الافتراضية يلاحظ كيف أصبحت هذه الفضاءات تعج برموز بصرية غير لفظية بصورة غير متناهية يوظفها المستخدمون لطرح مختلف المواضيع التي تخطر على بال إنسان سواء الاجتماعية أو النفسية أو الاقتصادية أو غيرها من المواضيع بطريقة ملفتة و جذابة تجعل من المواضيع المروح في الفضاء الافتراضي تلقى تفاعلا كبيرا بين المتواصلين، يكون ذلك في شكل صورة أو فيديو أو رسومات تخطيطية أو رسومات كاريكاتورية تترك مجالا للتبادل الحوار و التعليقات عليها، و في المقابل نجد تراجع واضح في استعمال اللغات و العربية منهم خاصة التي استبدلت حروفها باللاتينية و بالأرقام والرموز التعبيرية. وطغي استخدام العامية واللهجات الجديدة، و هو ما يهدد وجود اللغات و اللغة العربية خاصة العربية باعتبارها أهم العناصر المكونة لهوية الإنسان. فاستخدام هذه الرموز يشكل خطورة على الهوية الحقيقة للأفراد والمجتمعات باعتبار اللغة رمزا من رموز التواصل التي تمثل الأساس في الانتماء والهوية ، و كل ما يهدد اللغة شكلا و مضمونا هو في الحقيقة يهدد وجود الهوية لكل فرد و مجتمع ينتمي لهذه اللغة.

4-2- الأسماء المستعارة كرمز من رموز الهوية الافتراضية:

يصنع المستخدم شخصية الكترونية افتراضية، تجسد فكرة كونه شخصا رقميا avatar، وذلك عن طريق اسم مستعار، وعادة ما تكون الأسماء المستعارة معبرة أو متخيلة وذكية. ولذلك غالبا ما تكون الأسماء المستعارة تناسب شيئا من المفترض أن توحي به غرفة الدردشة، مثلا غرفة خاصة بالدردشة السياسية أو الفلسفية أو الاجتماعية أو التكنولوجية أو العلمية. فنجد ما يوائمها من أسماء مستعارة لدى أعضاءها، كمختصر أسماء مشاهير، و أحداث لها علاقة بموضوعات الدردشة المتوقعة...لخ (رحومة، 2008، صفحة 144)، و مسألة الاسم المستعار عبر المنتديات الالكترونية مثلا هو سر الإقبال على هذه المواقع في اغلب الأحيان حيث إن اختياره لا يكون اعتباطيا لأنه سيكون شاهدا على ما سيكتبه المستخدم فيما بعد "فهو يعتبر كشكل من أشكال إخفاء الهوية" إذ يمنح حرية اكبر في التعبير بإنقاص التابوهات، و يتم وضع الأسماء المستعارة بالكيفية الآتية:

- أسماء مستعارة "مباشرة و واقعية" قريبة جدا من الواقع.
- أسماء مستعارة "بطريقة غير مباشرة" تتخذ من الحياة الواقعية مرجعا لها و لكن لا يتم تفسيرها مباشرة.
- أسماء مستعارة "ثقافية أو إعلامية" تتخذ من الأفكار، المسلسلات، المجموعات و الفرق الموسيقية مرجعا. (شميسي، 2016، صفحة 151)

في عالمنا العربي يكثر استخدام هذه الأسماء المستعارة، و الأيقونات بدل صور الوجه، في محاولة للظهور الخفي، و للوجود الحذر. و يلاحظ أن الأسماء المستعارة التي يطلقها المشتركون على أنفسهم تمتلك قوة تعبيرية هائلة.بالإمكان فك شيفرتها و تحليل آلياتها، وفق المنهج اللغوي، لنصل إلى تلك الأنساق التي تختفي ورائها، فهي تتضمن دلالات و معاني تعكس طبيعة المشترك، و تكشف الغاية المرادة من الاسم المستعار. فمن الملاحظ أن من المشتركين في المواقع الالكترونية المختلفة و في مواقع التواصل الاجتماعي خاصة، يطلقون على أنفسهم تسميات لها علاقة بالصورة المثالية التي يرغبون أن يكونوا بها، أو التمظهر بقالب قد لا يستطيع تحقيقه في الواقع. (منصوري، 2014، صفحة 135)

و الواضح أن الاسم المستعار غالبا ما يكون جاذبا لدى الآخرين، و هذا ما يدل على أن معظم الشخصيات الرقمية يعون جيدا ا ناول ما يجذب أو يرى أو يتعرف عليه من خلاله، هو الاسم المستعار. لذلك يحرصون كل الحرص على أن يؤدي الغرض في جذب انتباه الآخرين، و فرض شيء من الحضور و الالتفات المميز على الأقل من حيث الاسم، و بالتالي تبرز أهمية الحضور الشخصي للهوية الرقمية لدى الشخصيات الرقمية، و الجو العام للغرفة التي ندخلها، و في كل الأحوال ، فان استخدام الاسم المستعار كقناع للذات Mask، قد يساعد في التعبير عن النفس بصورة اكبر، لشعور المرء بمسؤولية خفيفة، و ابتعاده عن الوقوع في روتين الواجبات و القواعد الاجتماعية للتعبير عن النفس لدرجة أن بعض الأطباء النفسانيين قد يستخدمون هذه الحالة كأسلوب علاج نفسي لبعض المرضى النفسانيين، أي استخدام القناع الرقمي، ثم القيام بأدوار معينة لأجل العلاج وفق مواصفات و نصائح الطبيب المختص، و يذكر أن هذه الطريقة تستخدم أصلا في الواقع الطبيعي، و ذلك بأن يقوم المرضى بارتداء أقنعة على أوجههم، ليقوموا بالأدوار التي ينصحهم بها الأطباء. ولكن عالم الشبكة أتاح لهم هذا الأسلوب في غرف الدردشة بسهولة، فيختار المشاركون أقنعتهم (الأسماء، و الأعمار، و الأدوار، و الوظائف...لخ)، و يندمجون في أنماط مختلفة من العلاقات الاجتماعية، وربما في هذه الناحية تحديدا يستفيد الأشخاص بصورة أكبر، كلما كانوا على درجة من الشفافية و الصدق في التعامل مع الآخرين. (رحومة، 2008، الصفحات 144-145)

و عليه يبدوا أن استخدام الاسم المستعار في الفضاءات الافتراضية أصبح بشكل لافت و هو ما يعكس قدرة هذه الرموز على تحقيق العديد من الاشبعات النفسية و الاجتماعية التي يحتاجها الإنسان في حياته و علاقاته الاجتماعية، فهي بمثابة القناع الذي يختفي ورائه الوجه الحقيقي للإنسان و تستعمل هذه الرموز في الغالب للتخفي لأنه يمنح صاحبه حري ة اكبر في التعليق و مناقشة مختلف المواضيع، كما قد يكون اختيار هذا الاسم المستعار بغية الوصول إلى طريقة مثالية لعرض الذات الافتراضية. فهي تملك قدرة تعبيرية كبيرة من خلال دلالاتها و مضامينها التي ترسل إشارات حول كينونة المتواصلين و سلوكهم النفسي و الاجتماعي

5- الخاتمة:

نستنتج في الأخير أن التواصل و التفاعل الاجتماعي المتجدد عن طريق استخدام الرموز الاتصالية الجديدة ذات الأبعاد و الدلالات الاجتماعية و الثقافية المختلفة داخل المجتمعات الافتراضية المفتوحة على مختلف الثقافات الإنسانية سمح ببروز و تشكل الهوية الافتراضية المنتشرة عبر مختلف الفضاءات الافتراضية.

إذا لقد اثر استخدام المكونات الرمزية الاتصالية الجديدة و المتمثلة في نوع اللغة المستعملة، و اختيار الاسم و الكنية، و تبادل الصور و مقاطع الفيديو، و النصوص الصوتية و المرئية، و مشاركة الملفات و التعليقات في إعادة صياغة الهوية في قالبها الاجتماعي الجديد، الهوية البديلة للهوية الاجتماعية الواقعية.

و هو ما يستدعي منا التدقيق في دراسة هذا الموضوع و معرفة الرموز الاتصالية الجديدة التي يعتمد عليها الأفراد الافتراضيون في عرض ذواتهم و هويتهم، و معرفة ما وراء هذه الرموز ، فهي في الغالب ليست محايدة و لا بريئة قد تتسبب في خلق أزمة اجتماعية نفسية تهدد هوية الإنسان على جميع المستويات الاجتماعية و النفسية والثقافية و الاديولوجية.

- قائمة المراجع:

أكرم صالح محمود خوالدة. (2012). الايدزاللغوي. عمان: دار الحامد.

السيد حافظ الأسود. (1991). المدخل الرمزي لدراسة المجتمع. حولية الانسانيات و العلوم الاجتماعية (14)، 326-327.

أمينة نبيح. (15 01, 2020). argelia Revista semestal de estudios Algerlinos. تاريخ الاسترداد 2019، من http://argelina.org/primaver-2017/las-comunidades-virtuales-en-argelia revista de estudios argelinos.

حسام إلهامي. (2015). سيمولوجيا التواصل الاجتماعي، دراسة تحليلية لبنية الرموز غير اللفظية على موقع فيسبوك. مؤتمر التواصل الاجتماعي، التطبيقات و الاشكالات المنهجية (الصفحات 23-40). الرياض: منتدى المعارف.

خالدة عبدالله. (2018). الاتصال و التواصل في المجتمعات الافتراضية و علاقتها بأنشطة الاعلام و علم المعلومات. مجلة كلية التربية الانسانية (101)، 545.

خيرة بغدادي، زينب زموري. (2011). العلاقات العاطفية بين الجنسين باستخدام الوسائل الالكترونية بين المجتمع الافتراضي و المجتمع الحقيقي. مجلة العلوم الانسانية و الاجتماعية (6)، 201.

شريفة بريجة. (2016). التغيرات السوسيو- ثقافية و أثرها على الهوية الثقافية للمجتمع الجزائري. كلية العلوم الاجتماعية، الجزائر: جامعة وهران.

صونية عبديش. (2016). الشبكات الاجتماعية على الانترنت- رؤية ابستمولوجية. مجلة الدراسات و البحوث الجامعية (20)، 100.

عبد الحكيم أحمين. (2017). الهويات الافتراضية في المجتمعات العربية. الرباط: دار الأمان.

عبد الحميد فاضل، سلوى محسن. (2012). تمثلات أشكال الرموز الرافدية في الفن الاسلامي. كلية الفنون الجميلة (3-4)، 509-510.

علي محمد رحومة. (2008). علم الاجتماع الالي. الكويت: عالم المعرفة.

عمر محمد أسعد. (2014). دور النصوص المرئية بمواقع الشبكات الاجتماعية في تحفيز النقاش السياسي الافتراضي. مجلة الصورة و الاتصال (العددان 9 و10)، 74.

فاطمة الزهراء بوفتة. (2017). الرموز الدلالية الاجتماعية بين انتاج القيم و تبنها. الجزائر، كلية الاعلام و الاتصال، الجزائر: جامعة الجزائر .

فضيلة توميو نبيلة بوخبزة. (2015). الهويات في مواجهة تقانة المجتمع الشبكي المخلعة. مجلة العلوم الانسانية و الاجتماعية (21)، 241-255.

فوزي مراد الشريطي. (2015). التدوين الالكتروني و الاعلام الجديد. عمان: دار أسامة.

كلثوم بيبيمون. (2016). السياقات الثقافية الموجهة للهوية الرقمية في ضوء تحديات المجتمع الشبكي. مجلة إضافات (33-34)، 214-255.

ليندة العابد. (2018). الهوية الرقمية و المواطن الافتراضي في الفضاء السايبري. مجلة العلوم الاجتماعية (5)، 202.

محمد عمارة. (1999). مخاطر العولمة على الهوية الثقافية . القاهرة: دار النهضة.

منصف المحواشي. (2010). الطقوس و جبروت الرموز. مجلة انسانيات (49)، 23.

نديم منصوري. (2014). سوسيولوجيا الانترنت. القاهرة: دار النهضة.

وداد شميسي. (2016). المنتديات الالكترونية بين التفاعلية و فن الحوار الافتراضي. عمان: دار أسامة.

Kols, P. N. (2014). the dijital tronsfomatio of humain:towords a conceptual model virtual identity in virtual worlds. convergence: the international journal of reseach, 20(03), 276-292.

Rouse, M. (2017, 02 01). techopedia. Consulté le 10 15, 2022, sur http://www.techopedia)virtual identity.

أ ,ننبيح. (2020, 01 15). argelia Revista semestal de estudios Algerlinos. Consulté le 2019, sur http://argelina.org/primaver-2017/las-comunidades-virtuales-en-argelia revista de estudios argelinos.